اجتهادات
التهريج .. والفن

السخرية يمكن أن تصنع فناً غنياً، وقد لا تنتج سوى تهريجاً رخيصاً. التهريج غالب الآن فى الأعمال التى تُقدم بوصفها ساخرة. تضاءلت الأعمال الدرامية الكوميدية عدداً ونوعاً، وكثر فيها التهريج الذى يظنه صانعوها سخرية أو فكاهة. وقل مثل ذلك عن الصحافة والقنوات التليفزيونية. وتحولت مواقع التواصل الاجتماعى إلى ساحات تعج باللغو الجارح المنبت الصلة بالسخرية السياسية والاجتماعية.

وهذه إحدى عجائب زمننا، لأن للفن والأدب الساخرين تاريخاً طويلاً نستذكر جانباً يسيراً منه فى الذكرى الخامسة بعد المائة لرحيل الكاتب والفنان الساخر يعقوب صنوع التى تحل اليوم.

دعنا من إسهاماته المسرحية المختلف على أهميتها وقيمتها، وربما على وجود بعضها أصلاً، بين المؤرخين المهتمين بتاريخ المسرح المصرى، والعربى بوجه عام. ورغم أن هذا الخلاف يمتد بدرجة أقل إلى إسهامات يعقوب صنوع فى الصحافة الساخرة، فالقدر المتيقن أنه ساهم فى تأسيس صيغة راقية للكتابة الساخرة. أطلق عليه البعض لقب «أبو نضارة» نسبة إلى أول مجلة أصدرها بهدف النقد الاجتماعى الممزوج بسخرية محببة لاذعة، ولكنها ليست مهنية أو متجاوزة القواعد المهنية. ربما تبدو اللغة العامية المستخدمة فيها نقطة ضعف بمعايير عصرنا الراهن. ولكنها لم

تكن كذلك فى مجتمع كان فى مستهل طريقه إلى التعليم فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر. تتعدد الروايات حول سبب غلق مجلته الأولى الأكثر شهرة «أبو نضارة»، وعن كيفية تعامله مع الإجراءات التى تعرض لها خلال مسيرته. ولكن القدر المتيقن أيضا أنه لجأ إلى تغيير اسم مجلته الساخرة عدة مرات لكى يعيد إصدارها بالاسم الجديد. واستخدم تنويعات على الاسم نفسه حين صودرت »أبو نضارة« التى كان اسمها قد اكتسب ذيوعاً. فقد أعاد إصدارها تحت اسم أبو نضارة زرقا, ثم «النضارة المصرية»، و«رحلة أبى نضارة». كما اضطر إلى تغيير الاسم كله إلى «أبو صفارة»، و«أبوزمارة»، و«الحاوى». وكان لبعض هذه الأسماء أوصاف طريفة يصفها به فى بداية استخدامها. تأمل مثلاً وصفه للحاوى عندما جعله عنواناً للمجلة: (الحاوى الكاوى، اللى يطلع من البحر، الراوى، جايب النكت للكسلان والغاوى، ويرمى الغشاشين فى الجب الهاوى). فأين نحن الآن من هذا الفن الساخر الذى كان صنوع أحد رواده؟